

نافذة

الهدية الأولى

كانت من المكون الكلي الذي أنجز كل شيء على تمامه، بما فيه آدم الإنسان الذي أخذ بيده، وأراه صنعه وملكه، وبعد أن انتهى من ذلك، قدم له الأنثى المرأة التي كانت بمنزلة أجمل هدية من الخالق إلى إنسانه، دعونا -نحن معشر الرجال- نتأمل عيني هذه الهدية، فسئرى ضياءً غريباً ورغبات دائمة حبيسة، تستعجل الاستيلاء على كل ما تقع عليه، وعلى الرغم من أن الرجل، أي رجل، يجب ذلك، إلا أن المرأة تعشقها، وأكثر من ذلك تعيدها أكثر من تعيدها لمرسلها، ومهما كانت تصورتنا -نحن معشر الرجال- عن أحاسيسها، فإننا لن نصل إلى قوة تأثيرها التي تعد لنا نظراتنا من شروبيها مفسدة بعجالة أحلامنا الدفينة عنها، حيث تحول سكوتنا إلى أفصح الكلام وأرقه، وعندما نتابعها بنحنا نشعر أنفسنا بأثقل ثبات أفئاسك، وفي لحظة متابعها منها، تختطفك من دون رغبة في معرفة اسمك، أو عن حياتك، ولا حتى عن عملك، ولا ترغب في فضحك لها سرائر ذاتك في غفلة منك، وبعد أن وصلت إليك، تقدم حضورها قائلة لك: هأنذا بين يديك، اصنع ما شئت، وبعدها أذهب فعد سريعاً، أو لا تعد إلى الأبد.

لا يمكن لأي رجل أن يعرف المرأة، ولا لأي طيقة تنتمي، أو من أي مرتبة جنسية تكونت منها، أو هي تتمتع بها، فرعة المرأة يحدها سرورها وملاحتها وأمتياز رقتها وتراتبية أخلاقها، فقد تكون من درجات الفقر بسيطة وبساطة، ثم يسمو جمالها وأناقته الفطرية وبساطة حركاتها وحلو مبسما، وما ينساب من نكاتها ونكهة رضابها، ليأخذ بها إلى مصاف المخلوقات، ويضعها في مرتبة الرقي والغنى، فالذكر في جميع المخلوقات الحية هو الأجل، إلا في جنس الإنسان الأنثى، كيف ما كانت جميلة في نظر مرديها، ويقليل من التجلت تغدو الأجل، أو متوافقة لدرجة كبيرة معه، وكأن بها نصفه الأزلي الذي كانا عليه قبل أن يطرعهما الإله من جسد واحد بوجهين، والغاية دائماً الالتقاء، كيف بنا ندرك هذه الهدية الإلهية ذات النفس الكريمة، إذا أكرمت أكرمت وحينا تلتعم عينها برغبات الحياة تجد الحب والعشق والود والهيام والحنان، تشتهي ولا تترسي، تنقيد بالزواج، ولا تجد فيه إلا البد الذي لابد منه، لأن جسدها يتأرجح ذاتها وجودها، تستسلم للفق، لقلبها وجبها، فإذا استسلمت توحدت، وإذا عشت حرقت وتحرقت، وإذا أنثت أنت وأتعيت، لا تعترف بالحب إلا لمن تحب، وثنية في حبها، صادقة في إحساسها، نسجت عنها ومنها الأساطير والقصص، وحملت اسم الليل الذي مهمم طال نهاره، فهو عائد إليه، كانت ليلي وليلي.

اعتبر آدم هذه الهدية حياته، وأدرك أنه من دونها لا يقدر على الاستمرار، ومهما كانت: داعة عاهرة ساقطة مؤمنة كاهرة راهية سافرة ثائرة سيدة سفيرة وزيرة أميرة رئيسة ملكة... حققت كل ذلك بفضل وجوده إلى جانبها واستدماها طبعاً لقرارتها، تحت أو فوق، مظلتها أو بجانبها، إلا أنها ومع كل ذلك، أفرحت على الرغم من ابتزازها له، بعد أن اكتشفت نكورتها ومواطن ضعفه وقوتها، وأدرك هو من سؤالها الأول له الذي كان عن الحب، هل تحبني يا آدم في لحظة عناق وضعف غريزي، التفت حوله وأجابها: هل من غيرك، وعرف من حينها خبث وقوة هذا السؤال السهل الممتع، وتملكه وبعي نادر حولها، بأنها ومهما بلغت من جمال وثروة وحكمة، فإنها تبقى كالزهرة الحزينة في صحراء من الرمال، إن لم يحضر الرجل، ويأخذ بيديها تذب حتى النهاية، ومهما تبدأ رحلة العبودية النوعية، فيما أن تكون جميلة ورائعة، يأخذ بك جمالها، لتكون فيه سجيناً، يبحث عن إثبات براءته والخروج منه، وإما أن تكون سيداً، تدخل من بون قناعه إلى سجنك، وتخرج منه بإرادتك، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قدرتها الدائمة في النوم، وأيضاً التغيير، وهذا ما جعل من أسطورة تورمتها مع الحية والتعبان وتولوبها ومكرها، وغايتها الأولى والأخيرة اصطياد نكرتها، أو العديد من النكور، إن فشلت في محاولتها الأولى، أو تبقى متيقظة متوثبة ضمن حالة من الانتظار.

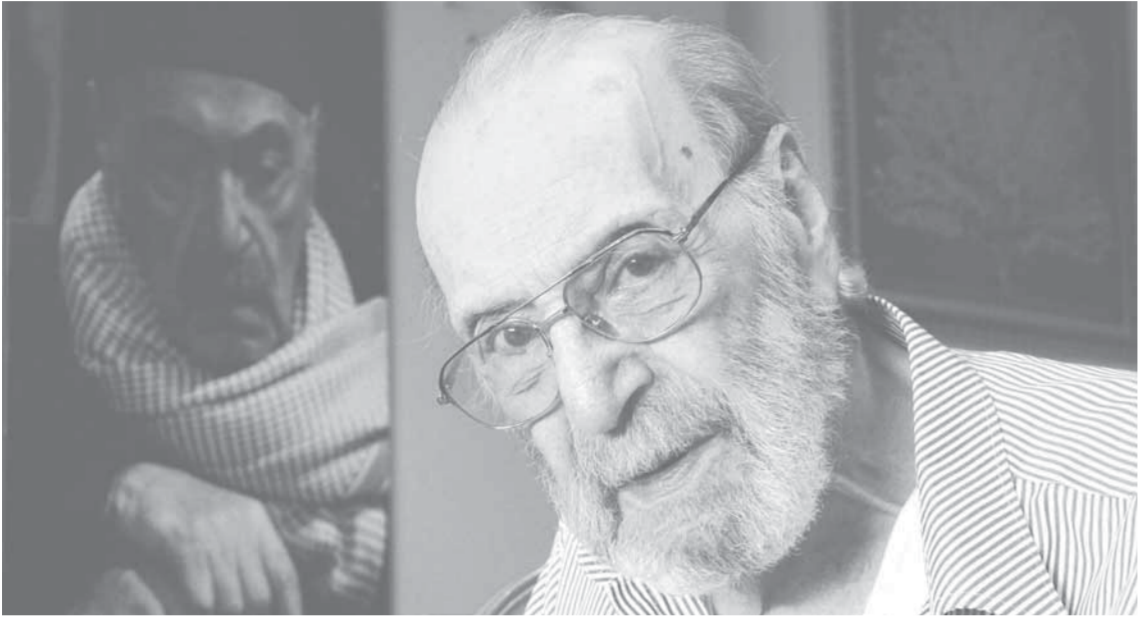
جاذبية ثائرة، وثورة عارمة يخوض غمارها آدم الفتى الرجل الكهل الشيخ، أياً كان عمره وضعه، تستلبه بصره لحظة أن يقع على الأنثى الصارخة وأفعال أشراكها، وتضاريس جسدها، وحرارة أنفاسها، وسهاد حنوها المولد لجنون أفكارها التي لا تنتهي من تلك الهدية الأولى، واعتبارها ليل آدم الضوء ضوعها الذي أنجب حواء، واستمرت في التوالد الأبدي، أحواله إلى الأمام في أحضان الخطيئة المستمرة وتعلقه بها، على الرغم من كل ذلك، قتل أولاده، وتركت له حواء، وجعلته بذلك متجهاً دائماً إلى الغفران بعد إغوائه بكل التين والتفاح، حيث ظهرت منها السوءات، وتاه معها حتى اللحظة، ولم يقدر على فهمها، لذلك تراه يستعين بابنتها، أو شقيقتها، أو صديقتها، أو تقيضتها، من باب أن فهم المرأة ونقاط ضعفها لا تدركه إلا أنثى من جنسها، ومنه اعتبرت الأم ابنتها ضرته الأولى، فهي تكبر، وابنتها تشمخ، فترى ديب الغيرة يأخذ مجراه في عمرها، وعندما تنشب مخالبها في جسد آدم لا تتأوه إلا مثيلتها المستوعبة للحدث بختي الحلول محلها، أو الحصول على الحصة من عكته، كبيرة كانت أم صغيرة، ودليلنا قبولها للدخول على مثيلتها تحت مظلة، ومهما تعدت أعدادها الأربعة، وما ملكت الأيمان.

إن هذه الهدية التي قبلها آدم بحب واحترام، والتي تلاعبت في عواطفه من خلال مطالبها الدائمة بالاعتراف عما اقترفت من خيانات فكرية وعلمية، ومسامحته لها لحظة انهيار دموعها التي تقفت عواطفه وقلبه، وتدعه في حيرة، ومن ثم قبول الغفران، وعلمه أن دمعه إذا انهمرت تقفت الصخر، ولا تستطيع أن تحرك قلبها أو مشاعرها، وتحمله لقبول هدية خالقه، أنهكت كواله مع تقديم احترامه الفاضل لها، حينما تكون حافظه بناه، يقدم لها جنى عمره، ومنه كان أن الأنثى الهدية تبني من خلال ما يجني آدم، ولم يشهد التاريخ بناء لأدم من جني حواء، إنها نصفه الأزلي الذي يجبره، ومن دونه ما كان له أن يظهر.

د. نبيل طعمة

أبو صياح.. قبضاي أصيل وعتيد ساخر من بيئته

رفيق سبيعي لـ «الوطن»: الشام تبقى الشام مهما حاولوا أن يشوهوها فعراقته لن تسمح



| سوسن صيداوي- تصوير: طارق السعدوني

«لا ترتعي يا شام من قسوة الأيام مازال فيك عيون ع الصميم ما ببتام... يا نعمة من الله... الله معك الله».

كلمات أغنية من أغاني أبو صياح، الفنان المعني بهموم الناس وقضاياهم، في الوقت الحالي وبين أوقاته الملوءة باللح والفرغ، يعرّش الحزن فأرضاً الألف في ثنائيا قلب فنان الشعب أبو صياح على حال أصبحنا فيها، خاطب الشام محبوبته بأن تجنب الحزن والزعل، لأنه يبايماه الكبير فيها وبعراقته وبحضارتها، هي بالضرورة من نعم الله.. وهي بالتأكيد ستتجاوز كل الحزن، هذا ما قاله في كلمته الأخيرة من الجزء الثاني، مسيرة حافلة تعمّت بالصبر والعطاء والالتزام مع الإصرار، والأهم من هذا كله حب حالة فنية، رفيق سبيعي أحد أعددة تأسيس الحركة الفنية في سورية، تمتع بحضور قوي بكل المجالات التي عمل بها سواء غناء المونولوج، المسرح، السينما، التلفزيون، الدراما، والإذاعة، قدم خلال مسيرته الفنية التعدد الفني والتنوع البارز، والأهم من هذا كله صدق القضية المعنية وفي الوقت ذاته المطلقة من الناس.

«الوطن» حاورت فنان الشعب رفيق سبيعي واليوم الجزء الثاني:

في مسلسلات البيئة الشامية هناك تشويه للواقع والشخصية.. فهي ليست كما أنا جسدتها

المناسبات والحفلات والأعراس كي أغني فيها، وهذا أمر لا يتناسب مع عائلة اجتماعية محافظة من جهة، ومن خوفة على من الانحراف أو أي أمر سيئ في ذلك الوقت هذا من جهة أخرى، في زمن كان يعتبر فيه الفن أمراً مشيناً ومعيباً، لهذا سعى كل جده كي يبغيني.

• هل تعتبر اليوم الموجودين بالساحة الفنية أسماء على الفن والحركة الفنية؟

إن شاء الله... هذا ما أتمناه كما أتمني على أي إنسان قد وهب نفسه للفن، لأن يخدم الفن بشكل مخلص لفنه وبالطاتي سيجنج.

• أنت من المؤسسين.. ماذا تقول للناهضين؟
أقول لهم أن يتنبهوا ويقوموا بالاهتمام بالفن بجد كبير، لأن الفن ليس وسيلة لكسب المال أو هو أمر يستهان به، فالفن أمر معقد رغم جماليته، وبالنهاية سيشوه سمعة الفنان نفسه إذا كانت خياراته خاطئة، فمفلاً شخصية أبو صياح اشتهرت لأن عطاها متميز وغير محدود والتميز هو الذي مكّنها من النجاح، في حين ما يقدم اليوم فيه استسهال للأمور وفيه تشويه لأصالة وبالطاتي سيؤذي إلى تشويه فكر الناس بطريقة سيئة.

• وقعت أمام كاميرات مخرجين كبار.. هل اختلف الحال بالتعامل مع مخرجين شبان؟
نحن من جيل الملتزمين ولم تكن تفكر يوماً كم سيكون المردود المادي، وكان جل ما تفكر به هو كم سيكون العمل الذي تقوم به جميلاً ومحبوباً من الجمهور وكم سيكون له من الأصداء، إضافة إلى أي مدى يحصل قيباً راقية، ولكن للأسف الشديد الأموال قامت بغراء البعض وصاروا يقدمون أشياء مهم فيها هو الحصول على أرباح أكبر وأنا لا أريد أن أشوه سمعة أي أحد ولكن للأسف الشديد ما أراه هو تشويه لأصالة واقفنا من خلال بث أفكار وحالات هي ليست بواقع معيشي بل هي نماذج، وهذا أمر لا يجوز.

• منذ متى لم تزر الشام القديمة؟
لم أزرها منذ وقت طويل.

• كيف تقضي وقتك؟
في الحقيقة أصابني الملل لأنني لا أخرج من المنزل بسبب وضعي الصحي ولأنني لم أتعاقد بالشكل الأمثل، ولكنني أحمد الله.. أنا بخير وأتمنى أن تعود لي قوتي وأعود إلى عملي بأقرب وقت ممكن.

• هل تقرأ؟
أقرأ وأتابع التلفزيون كي يعضي الوقت ولا أشعر بالملل.

• هل تقرأ الصحف؟
لا.. لا أقرأ الصحف، لأنني لا أحب كلام الجرائد وأعتبر أن الوقت الذي سأمضيه بقراءتها، من الأفضل أن أمضيه في قراءة كتاب.

• كلمة أخيرة...
أريد أن أقول للفنانين أن يتنبهوا ولا ينجروا وراء مغريات مادية مفلأ أو أشياء ليس لها قيمة فنية أو اجتماعية ونحن وجننا في هذا المجتمع كي نشارك في تقويته ورفعه للأمام ونحن ننظر من الفنانين أن يساهموا بدفع المجتمع إلى الأمام باعتبار الفن هو المتفلس لهمومهم ومشاكلهم الحياتية.



رفيق سبيعي مع عباس النوري في مسلسل «أهل الراية»

بقوة ما سينسجك إيجابيا على الفن ويرفع من مستواه، وإذا وجود المعيد جعل الناس تحترم الفن، وإيضاً تبني وزارة الثقافة والدولة للفن رفع من مستواه وجعل له مكانة في نظر الناس.

• أنت متنوع المواهب، مولوج، سينما، مسرح، إخراج إذاعي... هذا التنوع ألا يؤدي إلى تشتت عند الفنان؟
رغم تعددية ما يقدمه الفنان ورغم ما يمكن أن يعرفه هذا إلى ضغوط إلا أنه إذا كان للفنان قدرة عالية في التركيز على كل ما يقدمه سواء أكان في السينما أو المسرح أو الإذاعة أو التلفزيون، وعندما يتوجه بأعماله كله إلى أعماله التي يقوم بها فهذا أمر لن يؤثر حسب أفكاره وانطلاقاً من تجربتي وخبرتي، لأنني كنت أحب تقديري في فترة محددة لعدة أعمال وأشارك وأؤدي الشخصية الموكلة إلى بكل التزام وصدق، فهذا الأمر هو الذي يمكن الفنان من الاستمرار من دون أن يواجه أي من العقبات.

• على أي أساس كنت تختار وتفاضل بين الأعمال المعروضة عليك سواء من مونولوج أو سينما أو دراما أو إذاعة؟
دائماً ووقت ي الذي يحكمني مفئلاً عندما كنت أريد أن أقدم عملاً مسرحياً، وفي الوقت نفسه كان لدي التزام في إذاعة دمشق، كنت أرتب وقتي وأنظمه بطريقة أنني فيها العمل الإذاعي خلال ساعات النهار وقبل الساعة التاسعة مساءً، لأنني في التاسعة مساءً أكون في المسرح، وكانت العملية بسيطة بحيث لا يتداخل أمر على أمر آخر أو أن يكون شيء على حساب شيء آخر.

• صار في البيئة الشامية، بالتحديد، تشويه لصورة الأيضيات، في حين أنت أعطيت هذه الشخصية الكثير من حب الوطن وحب الوطن وحب الأم والأخت والأرض والانتماء، ولكن مؤخراً صار يقدم الأيضيات في بعض المسلسلات بأسلوب مبالغ فيه وأصبح الأيضيات هو صاحب المشاكل؟
ولأسف الشديد صاروا يقومون بتشويه شخصية البيئية أو الشخصية الشامية، وأنا في الوقت الذي مثلت فيه الشخصية الشامية جعلتها تحمل المثل، ولكن هم استعملوا الشخصية بقصد السخرية والاستهزاء بدافع إضحاك الناس بأمر من المعيب الاستهانة بها، وأنا أحزن كثيراً عندما أرى أن الشخصية الشامية أصبحت مشوهة وليست كما أردت أنا أن تكون أو المفروض أن تكون.

• هل يمكننا القول إن هذا الأمر عائد إلى شركات الإنتاج؟
نعم هذا أمر طبيعي لأنني حاولت قدر الإمكان أن أوفق بين فني وتربيتي الاجتماعية، وصحيح أن أبي كان يعنفني عندما كنت صغيراً، هذا لأنني كنت أذهب وأسهر، فهذا الأمر كان من باب خوفه وحرصه على، لأنني كنت بعمر عشر سنوات، وأذهب دائماً لأبحث عن

• في عام ١٩٦٠ تم تأسيس التلفزيون السوري، كيف التقيت الدكتور صباح قباي؟
عندما نقول صباح قباي فهذا يعني أننا نقول التلفزيون السوري، ولا بد لي أن أذكر أن صباح قباي كان ابن حارتي، وهو رجل من الصعب جداً أن يتكرر، فبمساعيه واحتوائه لنا وبرؤيته الثاقبة استطاع أن يؤسس التلفزيون السوري، أما بالنسبة كيف التقيته... كنت شاركت بمسابقة في سورية كمخرج وممثل ولأنني نجت بها تأملت إلى بعثة أو دورة تعليمية عن الإخراج الإذاعي في مصر، وفي أثناءها كان التلفزيون السوري في طور التأسيس، وفي مصر التقيت الدكتور صباح قباي وسألني ماذا أفعل في مصر؟ فأخبرته بتأهلي لهذه البعثة، وهو بالتالي أخبرني عن التحضيرات لتأسيس التلفزيون السوري، فقال لي «بمجرد عودتي إلى الشام تعال فوراً إلى مكتبي»، وبالعمل عندما انتهيت من الدراسة، وكانت المدة ستة أشهر، في القاهرة انتقلت إلى الشام، وذهبت مباشرة إلى صباح قباي، وجمعتي بالفنانين نلقتهم وديرت لحم ومحمود جبر وقال لنا سنعمل معاً، وهذا ما حصل فعلننا مع بعضنا ضمن إمكانيات محدودة وببساطة.

• أول عمل مع نهاد قلعي وديرت لحم كان تمثيلية مطعم السعادة؟
أجل.. وبعدها عملنا في كثير من التمثيليات والمسلسلات التي كانت طبعاً بالأبيض والأسود وعيارة عن سلسلة حلقات، ولكن ما أريد أن أذكره أننا في ذلك الوقت زمن تأسيس التلفزيون، كنا نمثل الحلقة ونحن على الهواء مباشرة، فلم تكن نسجلها ومن ثم يتم بثها ولكن بعدها أصبح التسجيل هو الأسلوب المتبع.

• كم كان هذا صعباً رغم كتنتم خلاقين؟
بالفعل كان الأمر صعباً جداً لأنه كان علينا أن نكون منتقلين وحذرين وأعضابنا مشدودة إلى درجة كبيرة، فالخطأ ممنوع، لأنه يظهر مباشرة على الشاشة ومن ثم للجمهور ولا يمكن تصحيحه أبداً، ولكن حبنا وإخلاصنا لما نقوم به من أعمال، كان دفعنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فرصة تأسيس التلفزيون السوري هي بحد ذاتها كانت أمراً يمنحنا الدافع بأهمية أنه أصبح في سورية تلفزيون وهو منبر من خلاله سننشر مواهبنا ونثبت أنفسنا وبأبنا على قدر كبير من المسؤولية وفي الوقت نفسه على قدر من الكفاءة.

• في ذلك الوقت هل جمعك مع الفنانين أي مواقف طريفة؟
لا... لا أذكر أي مواقف طريفة حصلت، ربما لأننا كنا منزهين ومنشغلين بأعمالنا، وجمدية العطاء مع عدم التساهل.

• في الدراما قدمت العديد من المسلسلات ما أريك بالدراما السورية في الوقت الحالي؟
أنا أرى أن الدراما السورية تتقدم وتتوسع الشبان والشابات، كما أنها تولظ قدراتهن، وفي الحقيقة أنا أشعر في الوقت الحالي، بالامتنان على الفن، كما أرى أن ما كنا نعاني منه من عقبات، اليوم قد زال، فمفلاً الأمل كانوا عقبة بأن يكون أبائهم أو أبنتهم فنانين سواء ممثلون أو مغنون أو استعراضيون وحتى كانوا يمنعونهم، على حين اليوم الأمل هم من يدفعون أولادهم لأمر كهذا.

• ويمكننا القول إنك من هؤلاء الأمل المشجعين؟
طبعاً... وبصدق تأسيس المعهد العالي للموسيقى والفنون المسرحية عنى في الكثير، فنحن لم يكن في زمننا أي معاهد لتعليمنا التعليم، ونحن تعلمنا من خلال الفرق الاستعراضية والنادي وغيرها، ولكن تأسيس المعهد كان وما زال أمراً مهماً، لأنه دائماً سيقدم نخبة من الشباب السوري الموهوب، واليوم مثلاً أصبح الأب هو من يدفع ابنته كي تكون ممثلة وهذا أمر لم يكن في السابق، ولكنه اليوم أمر حاضر



...مع نبيلة النابلسي في مسلسل «مبروك»



...مع قيس الشيخ نجيب في مسلسل «بيت الشهبندر»